

مقدمة

الحمد لله الذى أبدع الوجود على غير مثال سبق ، وكرم بنى الانسان ، وكلفهم بأوامره ونواهيه ، ليبلوهم أيهم أحسن عملاً . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسل إلى الناس كافة ، بشيراً ونذيراً .

(وبعد) فقد أصبحنا فى زمن تنكب أهله الطريق السوى . وألبست فيه الحقائق أثواباً غيرت معالمها ، حتى حسبها السذج وليدة هذا العصر ، وأعجوبة هذا الزمان ! ولقد سرى هذا الداء فى كثير من مرافق الحياة ، وطفى سيده ، حتى تناول الحقائق العلمية ، فإذا ما التفت الإنسان إلى أسماء العلوم فى عصرنا الحاضر ، وجدها قد تضاءعت عما كانت عليه من قبل ، وكأن مسميات هذه الأسماء لم يعرفها الأوائل ، ولم يدركها السابقون ! .

ولتأخذ ناحية ، على طريق المثال ، لننظر حالها الآن ، ونقارنه بحالها السابق . وتلك الناحية هى : ناحية تشريع الأحكام التى تنظم علاقات الأمة بغيرها من الأمم . فقد نادى المشرعون فى عصرنا الحاضر بنظريات تشريعية ، وسموها (تشريعاً دولياً : خاصاً ، وعاماً) .

ولقد ظن الناس أن المدنية هى التى جادت علينا بهذه القوانين ، ونفخت فيها روح الحياة وفأثمهم أن الشريعة الإسلامية قد أتت بما هو خير من ذلك التشريع ، وأصلح لنظم العمران ، منذ استقرت على وجه البسيطة : فقد بين التشريع الإسلامى أحكام : دار الحرب ، ودار الإسلام ، والجهاد ، والمعاهدات . وأحكام الذمى ، والمستأمن

وتلك الحقائق هي ما أطلق على مثلها في هذا العصر إسم (التشريع الدولى : انخاص ،
والعام) .

وفى الحق أن الناس قد فتنوا بكل شىء أتى به سيل المدنية الجارف ، وهذا
إغفال لعقولهم ، ونسيان لما بين أيديهم : من التشريع الذى أيقن العقلاء بأنه تشريع
صالح لكل زمان ومكان .

* * *

ولما كان قانون التخصص للأزهر الشريف — يلزم كل طالب لشهادته
النهائية أن يقدم رسالة فى موضوع من العلوم التى يدرسها ، فقد هدانى الله لأن
أقدم رسالة فى موضوع « التشريع الاسلامى لغير المسلمين » وهذا الموضوع لم يسبق
إلى بحثه — على وجه خاص — أحد من الكتّاب فى الفقه ، على ما أظن ، بل قد
ذكروا فى كثير من أبواب الفقه أحكاما منشورة تتصل بهذا الموضوع : لذلك وجدتني
أول منقب فى أمهات كتب الفقه لاختار منها ما يتعلق بهذا البحث .

فأرجو من الله أن تكون هذه الرسالة خطوة ، تقفوها خطوات من خيرة العلماء
المبرزين ، حتى يمسح ذلك العار الذى ألصقه بالتشريع الاسلامى المفتونون بزخرف
المدنية الحاضرة فتارة يرمونه بالجود ، وأخرى بالنقص وهو براء من تهم المفرضين ،
الذين يصورون الإسلام بأنه يذل الشعوب ، ويستعبد الناس ، ويقف بالانسانية عن
إدراك الكمال : وسيرى المنصف فى ثنايا هذا البحث سماحة الاسلام ، وسعة صدره ،
وحسن معاملته لأهل الذمه ، وكيف جعل لهم حقوقاً ، وحاطهم بسياج من العدل يقيهم
البغى ، ويدفع عنهم العدوان ؛ فى الوقت الذى كان فى مقدور المسلمين أن يجهلوا كل
مخالف لهم فى العقيدة رهن إشارتهم ، ونحت تصرفهم .

وإن من ينظر فى التاريخ نظرة صادقة ، يرى عدل المسلمين مع غيرهم ، ذلك

العدل الذى تتشوف الانسانية إلى أن تراه اليوم فتمسح عبرتها ، وتكفكف دمعها من البكاء على تلك الأيام التى أمن الانسان فيها على نفسه من اعتداء أخيه عليه ، وتنسم فيها روح الحرية الصادقة .

ثم إنى وإن لم آل جهداً فى تنقيح هذا البحث وترتيبه ، ولم أدخرو سعادتي تسديده وتهذيبه ، فإنه ربما لم يخلص من عثار وزلل ، ولم ينبج من خطأ وخطل فلا يعجب الواقف عليه ، فإن ذلك مما لا يسلم منه بشر . قال المزني : « قرأت كتاب الرسالة على الشافعي ثمانين مرة ، فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ ، فقال الشافعي : هيه ^(١) ! أبى الله أن يكون كتاب صحيحاً غير كتابه ^(٢) » .

وقال عماد الأصفهاني : « انى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر ! ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

وما قصدى إلا أن ألقى قبساً من نور الشريعة المطهرة على هذا الموضوع الذى اعتقد كثير من الناس أن الشريعة أغفلته ، وقصرت عنه .

وأرجو الله أن أكون قد صوبت سهمي نحو الغرض الذى قصدته « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

عبد الله مصطفى المراغى

(١) هيه بكسر الهاءين إمعة فعل امر بمعنى زد .

(٢) كشف البزدوى جزء أول صحيفة ٤

obeykandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

نحمد الله على توفيقه ؛ فقد أعاننا على نشر ألوان من الثقافة العربية والإسلامية .
وهأنحن ننشر صفحة من هذه الثقافة تعلن عن سمو الشريعة الإسلامية فيما سنته من
تشريع في معاملة غير المسلمين في مختلف شئون الحياة على اختلاف مللهم ونحلهم .
وسيرى القراء في هذا التشريع عدالة الإسلام وإنصافه لهذه الطوائف .
وقد كتب هذه الصفحة الناصعة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المراغى
مدير المساجد فى أسلوب يدل على إحاطة وتمكن ونرجو أن يلقى هذا الكتاب ما هو
جدير به من ذبوع وإقبال عند المهتمين بهذه المسائل من المسلمين وغير المسلمين
وخاصة رجال التشريع من قضاة ومحامين شرعيين ووطنيين وطلبة المعاهد والحقوق .
حتى يكون فى هذا الإقبال بعض التقدير لما قام به فضيلة المؤلف من جهود .
والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل ما

الناشر

على حسن